Alustath Journal for Human and Social Sciences

Volume 65 | Issue 2 Article 10

6-15-2026

Phonetic Morphology: Its Concept, Justifications for its Emergence, and Foundations of Analysis

Nawal Saleh Mahdi
College of Petroleum Processes Engineering, Tikrit University, Iraq, nawal.s.mahdi@tu.edu.iq

Omar Rashid Shaker Al-Samarrai
Department of Arabic Language, College of Arts, Samarra University, Iraq

Follow this and additional works at: https://alustath.uobaghdad.edu.iq/journal

Recommended Citation
Mahdi, Nawal Saleh and Al-Samarrai, Omar Rashid Shaker (2026) "Phonetic Morphology: Its Concept, Justifications for its Emergence, and Foundations of Analysis," *Alustath Journal for Human and Social Sciences*: Vol. 65: Iss. 2, Article 10.
DOI: https://doi.org/10.36473/2518-9263.2472

This Article is brought to you for free and open access by Alustath Journal for Human and Social Sciences. It has been accepted for inclusion in Alustath Journal for Human and Social Sciences by an authorized editor of Alustath Journal for Human and Social Sciences.

Scan the QR to view the full-text article on the journal website

ALUSTATH JOURNAL FOR HUMAN AND SOCIAL SCIENCES 2026;65(2):119–131

Phonetic Morphology: Its Concept, Justifications for its Emergence, and Foundations of Analysis

Nawal Saleh Mahdi[1,*], Omar Rashid Shaker Al-Samarrai[2]

[1]College of Petroleum Processes Engineering, Tikrit University, Iraq
[2]Department of Arabic Language, College of Arts, Samarra University, Iraq

ABSTRACT

This research examines the attempts of modern scholars to establish a new branch of linguistics concerned with the methodological overlap between the phonological and morphological levels, which they have termed phonological morphology. What prompted researchers to pursue this line of thinking was their realization that a rigorous scientific methodology must transcend the idea of separating the linguistic analysis levels. This separation was merely for educational purposes and should not persist in analytical scientific research. It appears that phonological morphology has acquired the status of an independent science, as it now has its established concept documented in modern linguistic literature, both lexicographical and morphological. Furthermore, inductive reasoning indicates that certain analytical foundations have become established in this new branch of contemporary linguistics. In this research, we discussed some of the modern statements made by some contemporary scholars criticizing the morphological research methodology in our linguistic heritage. It became clear that some of these statements need to be reconsidered, as they were not based on accurate scientific induction. The heritage of Arabic morphology scholars contains evidence that suggests an important aspect of morphological phonetic thinking was clearly defined among Arabic scholars, but in a way that suited their heritage and research methodology.

Keywords: Phonetic Morphology, Consonants, Vowels, Syllable, Arabic Morphology.

Received 30 May 2026; Revised 14 June 2026; Accepted 14 June 2026
Available online 15 June 2026

*Corresponding author: Nawal Saleh Mahdi
E-mail address: nawal.s.mahdi@tu.edu.iq

https://doi.org/10.36473/2518-9263.2472
2518-9263/© 2026 The Author(s). Alustath Journal for Human and Social Sciences. This is an open access article under the CC BY 4.0 Licence (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

مجلة الأستاذ للعلوم الإنسانية والإجتماعية 2026;65(2):119–131

قم بمسح رمز الاستجابة السريعة لعرض النص الكامل للمقالة على موقع المجلة

علم الصّرف الصوتيّ مفهومُهُ ومسّوغات ظهوره و أسسُ التحليلِ فيه

نوال صالح مهدي[1،*]، عمر رشيد شاكر السامرائي[2]

[1]كلية هندسة العمليات النفطية، جامعة تكريت، العراق
[2]قسم اللغة العربية، كلية الآداب،جامعة سامراء، العراق

الملخّص

يرصد البحث محاولات الدارسين المحدثين في تأسيس مبحث جديد في علم اللغة الحديث يُعنى بالنظر في التداخل المنهجي بين المستويين اللغويين الصوتي والصرفي، وهو ما اصطلحوا على تسميته بعلم الصرف الصوتي. والذي حدا الباحثين نحو هذا اللون من التفكير هو أنهم وجدوا أن المنهج العلمي الدقيق لا بدّ أن يتجاوز فكرة الفصل بين مستويات التحليل اللغوي، وأن ذلك الفصل لم يكن إلا لأغراضٍ تعليمية لا ينبغي أن تستمرّ في البحث العلمي التحليلي. ويبدو أن (علم الصرف الصوتي) قد اكتسب ما يصيّره علما مستقلاً، فقد صار له مفهومٌ مستقلٌّ مدوّن في الأدبيات اللسانية الحديثة عامة معجمية وصرفية. ولم يقف الأمر عند ذاك، بل دلّ الاستقراء على أنّ ثمّة أسساً للتحليل صارت معتمدة في هذا البحث الجديد من مباحث علم اللغة المعاصر، وناقشنا في هذا البحث جانبا من المقولات الحديثة التي وجهها بعض الدارسين المعاصرين ناقدين منهج البحث الصرفي في تراثنا اللغوي، وتبين لنا أن من هذه المقولات ما يلزم إعادة النظر فيه، ذلك أنها لم تقم على أساسِ استقراءٍ علميٍ دقيقٍ، وأن في تراث علماء العربية الصرفي ما يدعو للقول إن جانبا مهما من التفكير الصوتي الصرفي كان واضح المعالم عند علماء العربية، ولكن على نحو يناسب تراثهم ومنهجهم في البحث.

الكلمات المفتاحية: الصرف الصوتي، الصوامت، الصوائت، المقطع الصوتي، الصرف العربي.

تم الاستلام في 30 يمكن 2026؛ تم المراجعة في 14 يونيو 2026؛ تم القبول في 14 يونيو 2026
متاح على الانترنت 15 يونيو 2026

*المؤلف المراسل: نوال صالح مهدي
البريد الإلكتروني: nawal.s.mahdi@tu.edu.iq

https://doi.org/10.36473/2518-9263.2472
2518-9263/© 2026 The Author(s). Alustath Journal for Human and Social Sciences. This is an open access article under the CC BY 4.0 Licence (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

مشكلة البحث

تكمُنُ مشكلةُ البحثِ في أنَّ المراجعَ اللغويّةَ الصرفيةَ الحديثةَ لم تُعنَ العنايةَ الكافيةَ في وضع الحدود التأسيسية لعلم الصرفِ الصوتيّ ولم تُشغل بوضعِ مفاهيمِهِ الرئيسة.

أهمية البحث

يُمكنُ النّصُّ على أنَّ أهمّيّةَ البحثِ تكمُنُ في أنَّه من المحاولاتِ القليلةِ التي سعت في سبيلِ وضعِ المفاهيمِ الأساسيةِ لعلمِ الصرفِ الصوتي بين أيدي الدّارسينَ، وتوفير مرجعٍ حديثٍ يُعنى بمعالجةِ هذه المشكلةِ.

أهداف البحث

يهدفُ البحثِ إلى توفير مادّةٍ مرجعيّةٍ للدارسين المحدثينَ تُعرّفُ بعلمِ الصّرفِ الصّوتيّ، وتبيّنُ مسوّغاتِ ظهورِهِ، وأسس التّحليلِ فيه، والمـوقف من مقولاتِهِ مقارنةً بالتّراثِ العربيّ.

فرضيات البحث و مسائله

يفترضُ البحثُ أنَّ محاولات الدّارسينَ المحدثينَ للتّعريفِ بعلمِ الصّرفِ الصّوتيّ لم تكنْ كافيةً، وأنَّ الحديثَ عن مفهومِ هذا العلمِ كانت مقتصرةً على مقدّماتِ الأبحاثِ المعنية بمسائل البحث الصرف-صوتي، دون محاولةِ تخصيصِ دراسةٍ مستقلةٍ بذلك.

حدود البحث

جاء هذا البحثُ في حدود مستويينِ من مستويات البحثِ اللغويّ الحديث وهما: المستوى الصوتي، والمستوى الصّرفيّ، ومحاولة الدمج بينهما في المعالجة الصرفية الحديثة.

منهج البحث وإجراءاته

أبرز ما اعتمده البحثُ من منهجٍ أو مناهجَ هو المنهج التحليلي، فضلاً عن ملامح نقديّةٍ وتاريخية لغويّةٍ، وأمّا إجراءاته فقد اعتمد المباحث الآتية:

1- مفهوم علم الصرف الصوتي.
2- مسوغات ظهور علم الصرف الصوتي.
3- أسس التحليل في علم الصرف الصوتي.
4- علم الصرف الصوتي والتراث الصرفي العربي.

أبرز النتائج والاستنتاجات

وأمّا أبرز النتائج والاستنتاجات، فهي:

1- سعي الدرس اللساني الحديث إلى إلغاء الفواصل بين المستويين الصوتي والصرفي، وقد أنتج هذا السعي ظهور مقولات علم الصرف الصوتيّ.
2- قد كان ثمّة عاملان أسهما في بروز مقولات علم الصرف الصوتي، وهما: ميل الدرس اللغوي الحديث نحو اللغة المنطوقة لا المكتوبة، والرؤية البنيوية التي ترى تداخل مستويات التحليل اللغوي وعدم إمكانية الفصل بينهما في التحليل العلمي الدقيق.

المقدّمة

الحمد لله ربِّ العالمينَ، و الصّلاة والسّلام على سيّدِنا محمدٍ وعلى آله وصحبِهِ أجمعينَ، و بعدُ:

فقد عُنيَ كثيرٌ من الدّراساتِ اللغويّةِ الحديثةِ بتحليلِ الظاهرةِ الصّرفيّةِ تحليلاً يقومُ على أساسِ النّظرِ في القوانينِ الصّوتيّةِ الخاصّةِ ببناءِ الكلمةِ، وعلى أساسِ ملاحظةِ ما يجري بينَ أصواتِ الكلمةِ الواحدةِ أو الكلمات المتجاورةِ في السلسلةِ الكلاميّةِ من تفاعلاتٍ صوتيّةٍ أو من تأثيرٍ وتأثُّر، فقد أدرك القدماءُ قبل المحدثينَ أنَّ مجاورةَ الأصواتِ بعضِها البعضَ الآخرَ له تأثيرٌ، وأنَّ هذا التّأثيرَ أو التّفاعلَ لا بدَّ أنْ يترك أثرَهُ في السّلوكِ الصّرفيِّ للكلمةِ.

و في سبيلِ الكشفِ عن هذه الحقيقةِ العلميَّة ظهرتْ دراساتٌ أكاديميةٌ وأبحاثٌ جامعيّةٌ ومؤلفاتٌ مستقلّةٌ تتناولُ دراسةَ الظاهرةِ الصّرفيةَ دراسةً صوتيّةً، بل أمستْ أقلامُ الباحثينَ العربِ المحدثينَ تتحدّثُ عن فرعٍ جديدٍ من فروعِ الدّراسةِ الصّرفيةِ هو (علم الصّرفِ الصّوتي).

ولكنَّ تتبّعَ مثلِ تلك الدّراساتِ والأبحاثِ تبعثُ القارئَ على تصوّرِ أنَّ ثمّةَ قضيّةً ما زالتْ تحتاجِ إلى شيءٍ من التّحريرِ والبيانِ والتّحديد وهي: التّعريفُ بهذا الفرعِ الجديدِ من فروعِ الدِّراسةِ الصرفيّةِ الحديثةِ التي اصطُلِحَ على تسميتها علماً، فضلاً عن تحريرِ القولِ في مسائلِهِ ومباحثِهِ ومسوّغاتِ ظهورِهِ، وعن علاقتِهِ بالمباحثِ الصّرفيَّةِ التّراثيّةِ.

ومن أجلِ بيانِ ذلك كلّه جاءت هذه الدّراسةُ التي نبغي منها الوقوفَ عند هذا الذي رأيناه في حاجةٍ إلى تحريرٍ وبيانٍ وتحديدٍ، رغبةً منّا في أنْ تجدَ مادّةُ هذا البحثِ طريقَها إلى المعجمات المتخصّصةِ التي تُعنى بالتّعريفِ بمصطلحاتِ علمِ اللغةِ الحديثِ، ومنها المصطلحات المعبرةُ عن فروعِ الدراسة اللغويةِ أو العلوم الحديثةِ، فضلاً عن توفيرِ مادّةٍ علميّةٍ رأينا أنّها تأخرت في الظهورِ في الدّراساتِ اللغويَّةِ الحديثةِ تُعرّفُ الباحثينَ بهذا العلمِ الجديدِ وتحدّدُ الأسسَ العلميّةَ الكُبرى التي يقومُ عليها.

و قد اقتضتْ طبيعةُ البحثِ أنْ يُبْنى على أربعةِ مباحثَ هي:

1- المبحث الأول: مفهوم علم الصرف الصوتيّ.
2- المبحث الثاني: مسوّغات ظهور علم الصرف الصوتيّ.
3- المبحث الثالث: أسس التحليل في علم الصرف الصوتي.
4- المبحث الرابع: علم الصرف الصوتي والتّراث العربيّ.

وتضمّنت هذه المباحثُ عناوينَ فرعيّةً عالجنا فيها ما رأينا أنَّه يُسهم في تدوينِ مفهومِ هذا العلم الجديد وتحديد مسائلِهِ وبيانِ الأسس العلميّةِ التي يستندُ إليها في التّحليل، وتتلو هذه المباحثَ خاتمةٌ تبيّنُ أهمَّ النّتائجِ التي خلصَ البحثُ إليها.

ونرجو أنْ يكونَ هذا البحثُ قد أجابَ عن الأسئلةِ التي حدّدها، وعالج المشكلة التي هَدفَ لدراستِها دراسةً علميّةً ووضّحَ المفاهيمَ التي ترتبطُ بـ (علم الصّرفِ الصّوتيّ) ارتباطاً وثيقاً.

والله وحده وليُّ التّوفيقِ و السّدادِ

المبحث الأول: مفهوم علم الصرف الصوتي:

تُعنى الدراسةُ الصرفيَّةُ قديمةً كانت أم حديثةً بالنظر في بنية الكلمةِ، وبدراسةِ القواعد التي تسهم في إحداث التغيرات التي قد تصيبُ هذه البنية، وهذا اللونُ من الدراسةِ أو الطريقة في البحثِ هو مستوى ثابتٌ من مستويات التحليل اللغويّ في كلِّ درسٍ علميّ يَخصُّ أيَّة لغةٍ من اللغاتِ.

و تقوم الدراسةُ الصرفيَّةُ الحديثةُ والمعاصرةُ على فكرةِ توظيف البعد الصوتيّ لبنيةِ الكلمةِ، والنظر إلى أنَّ التغيرات التي تحدث في الكلمةِ هي تغيراتٌ صوتيه، وأنَّ هذه الدراسة الحقيقية لنظام الكلمةِ يجب أن تستند إلى تحليل أصواتها وتتبع التفاعلات الصوتية التي تجري بين أصوات الكلمةِ في داخل هذا النظام.

وقد شَرَعَ الدرسُ اللسّانيُّ الحديث منذ منتصف القرن العشرين في إلغاء المفاصلةِ بين المستويين الصوتي والصرفي في الدراسةِ الصرفية، فقد صار النظر إلى أنَّ حقيقه الكلمةِ هي سلسلةٌ من الاعتبارات الصوتية تقليدًا ثابتًا في الدرس اللغويّ الحديثِ.

يقول فندريس:"وأقلُّ كلمة تفترض سلسلة من الحركات النطقية المعقدة وقد تركبت فيما بينهما، ومن هذه المركبات تنتج أفعال متبادلة تؤدي إلى أنواع مختلفة من التحوير» (فندريس، 1950، 83) (Vendryes, 1950, 83).

وإذا كان الدرسُ الصرفيُّ يرى أنَّ المورفيم هو أساسُ التحليل الصوتيّ الحديث (قدوي، 2008، 189)(Qadawi, 2008, 189)، فإنَّ هذا الدرسَ قد دأبَ على الاستناد إلى البعد الصوتي في بيانِ حقيقة المورفيم يقول الدكتور تمام حسان:" في المورفيم في عمومِهِ عنصر أصواتيّ(صوت أو مقطع أو عدة مقاطع) يدلُّ على العلاقات بين الأفكار في الجملة"

وقد وَجَدَ الدرسُ اللسانيُّ الحديث لنفسه المسوِّغَ العلميَّ ليصطلح على هذا اللونِ من الدراسةِ التي تقوم على أساسِ توظيف الحقيقة الصوتية في أثناءِ دراسةِ بنية الكلمة تسمية مستقلة تميزها من الدراسةِ الصرفية التقليديّة، وهي: morpho-phonology، وقد تعدّدت ترجمات هذا المصطلح في الدراسات اللسانية العربية المعاصرة (عبد الجليل، 2019، 30)، (Abd al-Jalil, 2019, 30).

1- فمنهم من ترجمها بـــ: علم الصرف الصوتي.
2- ومنهم من ترجمها بـــ: الفونو لوجيا الصرفية(عبد الجليل، 2019، 30)، (Abd al-Jalil, 2019, 30).
3- ومنهم من آثر ترجمتها بـ: علم الوحدات الصرفية الصوتية(مبارك، 1995، 188) (Mubarak, 1995, 188).

و يبدو أنَّ الترجمة الأولى أكثرُ شيوعًا، وهي التي استعملها الدكتور عبد القادر عبد الجليل عنوانًا لكتابهِ الذي يبحث في هذه المعرفة اللغويَّة المعاصرة.

وتحملُ هذه الترجمة: علم الصرف الصوتي مسوِّغات قبولها فهي تحمل التمييز الواضحَ عن الدراسة الصرفية التقليدية التي يُصطلح على تسميتها بـ: علم الصّرف أو (morpho logy) فالقارئ مبتدئًا وغير مبتدئ يُدركُ ما يميز الدراسة الصرفية الحديثة حينما يرى الوصف (الصوتي) يتبع المركب الإضافي (علم الصرف) فيبين له أنَّ المرادَ هو دراسة الصرف استنادًا إلى الحقائق الصوتية المختلفة.

وقد صار لهذا العلم تعريفٌ يميزُهُ من غيره يقول الدكتور مبارك المبارك، وهو الذي يستعمل ترجمة morpho-phonology بـــ:علم الوحدات الصرفية الصوتية:» هو علمٌ يدرسُ أشكال التركيب الصواتي للوحدات الصرفية في السياقات اللغوية المختلفة « (مبارك، 1995، 188) (Mubarak, 1995, 188).

والذي ننتهي إليه هنا هو أنَّ المدوَّنة اللسانية الحديثة تصطلح على استعمال مصطلح مستقل هو morpho-phonology اي: علم الصرف الصوتي يعبر عن طريقة في دراسة نظام الكلمةِ تعتمد النظر في التشكيل الصوتيّ لها.

وبذلك يتميز هذا العلم عن علم الصرف او morphology الذي هو علمٌ يبحث في تركيب بنية الكلمة من حيث التجريد والزيادة والتغيير (مبارك، 1995، 188) (Mubarak, 1995, 188)، وهو الذي ورد في تراثنا العربي تعريفه بالمعنى العلمي بأنَّه: "علم بأصول تعرف به أحوال أبنيه الكَلِمِ التي ليست بإعراب ولا بناء"(الاستراباذيّ، 1975، 1/1) (1/al-Astarabadi, 1975, 1)،او تعريفه بالمعنى العمليّ وهو:" تحليل الأصل الواحد إلى أمثلةٍ مختلفةٍ لمعانٍ مقصودة لا تحصل إلا بها"(الحملاوي، 2000، 13) (al-Hamlawi, 2000, 13).

المبحث الثاني: مسوّغاتُ ظهور علم الصرف الصوتيّ:

إذا كان علم الصرف (التقليدي) قد عُني بدراسةِ بنية الكلمة وتتبع التغييراتِ التي قد تصيبُ هذه البنية، وتقديم الوصف والتقعيد، والتفسير الذي يستوعبُ ملاحظة تلك البنية، وتلك التغيرات التي قد تصيبُها، فما المسوّغُ العلميُّ الذي دعا إلى تأسيس علم لغويٍّ مستقلٍّ هو الصرف الصوتي يتميز من علم الصرِّف (التقليديّ)؟

وقد سَبق حديثَ المعاصرين عن: علم الصرف الصوتي ارهاصات علميّة ومحاولات منهجيَّة، ونصوص واضحة تصرّح بالترابط الواضح بين المستويين الصوتيّ، والصرفي في نظام اللغة، وتقدم التحليلات الصرفية الجديدة التي تستند إلى القول بهذا الترابط، يقول الدكتور نايف الخرما:" النظام اللغوي كلُّهُ وحدة مترابطة متصلة، وعلى الرغم من حديثنا السابق عن النظام الصرفيّ، فإنَّا لا نقصد مطلقًا إلى القول بأنَّه نظام منفصل مستقلٌّ، بل لقد رأينا فعلًا كيف أنَّ بعض القواعد التي عمل علماءُ الأصوات على اكتشافها تصل ما بين أصوات اللغة ومفرداتِها أي بين النظام الصوتي والنظام الصرفيّ للغةِ».(خرما، 1978، 272) (Khurma, 1978, 272).

وقد ذهب اللساني البريطاني فيرث إلى أنَّه لا وجود لعلم الصرف بدون علم الأصوات (بشر،606،2000) (Bishr, 2000, 272)، وقد شرح الدكتور كمال بشر هذه المقولة مؤكدًا مضمونها، فقال:" ذلك لأنَّ مباحث الصرف مبنية في أساسها على ما يقرّره علم الأصوات من حقائق، وما يرسمه من حدود، وفي رأينا كلُّ دراسة صرفية تهمل هذا النهج الذي نشير إليه لابدّ ان يكون مصيرها الإخفاقَ والفشل» (بشر، 2000، 606) (Bishr, 606, 2000).

ويرى الدكتور عبد الصبور شاهين أنَّ التجديد يفرضُ وضَع منهج متكامل للدرس اللغويّ يبدأ بالأصواتِ إلى الصيغ والتراكيب مرورًا بكل مستويات البحث وينبّهُ على أنَّ الصرف أشدُّ التصاقًا من النحو بالأصوات ونظرياتها ونظمها(شاهين، 1980، 9) (Shahin, 9, 1980).

و قد دخل العنصرُ الصوتيُّ ملمحًا بارزًا في توضيح مفهوم الصّرف عمومًا في الدرس اللسانيّ الحديث، وصار ينظر إلى البنية على أنها سلسلةٌ من الأصواتِ أو العناصر الصوتية.

يقول الدكتور احمد محمد قدّور:" يُعنى الدرسُ الصرفيُّ الحديثُ وهو فرع من فروع اللسانيات و مستوى من مستويات التحليل اللغويّ بتناول البنية التي تمثّلها الصيغ، والمقاطع، والعناصر الصوتية التي تؤدي معاني صرفية أو نحوية، ويطلق الدارسون المحدثون على هذه الدروس مصطلح المورفولوجيا" (morphology) (قدور، 2008، 185)(Qadawr, 185, 2008).

وحتى ندرك أصول هذه التوجُّه اللسانيِّ الجديد لابدَّ أن نقف عند السياق العلميّ الذي نشأت فيه فكرة الجمع بين المستويين الصوتي والصرفي في دراسة نظام الكلمة العربية، وتتبع التغيرات التي تصيب بنية هذه الكلمة، كي نفهم الرؤية الفلسفية للدرس اللساني الحديث التي أنشأت مسوّغات الجمع بين هذين المستويين.

والذي أحسبهُ أنَّ السياق العلميَّ الذي نشأت فيه مثلُ هذه الفكرة يفسرهُ عاملانِ رئيسيانِ تكشفهما المدوّناتُ اللسانية المتتابعةُ، وهما:

أولًا- الاستنادُ في التحليل اللساني:

إلى اللغةِ المنطوقةِ لا المكتوبة يرى الدرسُ اللسانيُّ الحديثُ أنَّ التحليل العلميَّ الدقيق للظاهرة اللغويَّة هو الذي يكونُ منطلقًا من ملاحظةِ اللغةِ المنطوقة لا المكتوبة وأنَّ هذا هو ما يميزُ علمَ اللغة الحديث من علم اللغة التقليدي، يقول جون لونيز:» فقد كان العلماءُ يميلون إلى التركيز على اللغة المكتوبة، وتجاهلَ الفرقَ بين الكلام والكتابة، وبالرغم أنَّ النحويين التقليديين لم يتجاهلوا اللغة المنطوقة كلية إلا أنها كانت تعدُّ دومًا نسخةً منقوصة من اللغةِ المكتوبة، بينما يُعدُّ معظمُ علماءِ اللغة اليوم الكلام هو الأساس، و اللغة المكتوبة مشتقة منه، أي أنَّ الصوت" وبتعبير أدقَّ مجموعة الأصوات التي تستطيع أن تطلقها ما تسمى بأعضاء الكلام هي الوسيلة التي تتجسد بواسطتها اللغة، وأنَّ اللغة المـكتوبة تنتج عن نقل الكلام الى وسيلة مرئية ثانوية» (قدور، 2008، 16) (Qadawr, 16, 2008).

وقد صيّر اللغويون العربُ المحدثون هذه الخصيصة اللسانيّة مدخلًا رئيسًا لنقد الدرس الصرفيّ العربيّ القديم، فقد رأى الدكتور عبد الصبور شاهين أنَّ أحدَ مصادر الخلل في النظام الصرفيّ العربيّ هو الربط بينه وبين الكتابةِ ورأى أنَّ هذا الخلط أنشاه الاعتقاد بأنَّ اللغة هي ما تحتويه من رموز الكتابةِ من حروف وكلماتٍ، وتراكيب (شاهين، 1980، 10) (Shahin 10, 1980).

وردَّد الدكتور شاهين ما يقولهُ الغربيون حين قال:" ومن هنا كان من الضروري دائمًا الفصل بين التحليل الصوتيّ للكلمةِ وبين كتابتها، فإنَّ للكتابةِ من جانب آخر ميزة تنفردُ بها عن النطق، هي أنها لا ترسم التفاعلات الصوتية في الغالب الكثير، وهي من أكثر العوامل تأثيرًا في بنيه الكلمةِ ونطقها فكأنَّ الكتابة تؤدي لنا اللغة في شكلها الثاني، على حين نسمعها من أفواه الناطقين بها صورة حية متفاعلة» (شاهين، 1980، 15) (Shahin, 15, 1980).

ولا شكَّ في أنَّ هذه المقولة مسبوقة بما ذهب إليه الغربيون، يقول انطوان ماييه:"، ومعظم الاختلافات في النطق التي تميز بها الجهات المـختلفة والطبقات الاجتماعية المتباينة لا تظهر في الكتابة... وفي اللغة المكتوبة تميل الاختلافات إلى الاختفاء مع أنَّ مع تلك اللغة هي التي تحمل الصيغة العامة على أتمِّ وجه إنَّ اللغة المكتوبة الثابتة بطبيعتها تؤدي إلى تثبيت اللغة العامّة، وتعمل فيها كعنصر محافظة» (مندور، 1996، 446) (Mandour, 446, 1996).

وقد كانت عبارةُ بعض اللغويين العرب غير دقيقةٍ في وصف الدرس الصرفيّ العربيّ الصوتي التقليدي بأنَّه ذو طبيعة بصرَّية، تسهل النظر إلى الحقيقة الصوتية للغة، يقول الدكتور ديزيره سقال:" مشكله الصرف العربيّ برأيي هي أنَّ النحاة العرب قد تعاملوا معه على اعتبار أنه من طبيعة بصريّة، أي على اعتبار أنه رسم ما أفقد الكلمة أهم خصائصها... ولو أنَّ النحاة القدامى لم يقصروا نظرهم على شكل الكلمة الكتابيّ لتمكنوا من استنباط قواعد بسيطة للغاية تغني عن كلِّ المصاعب لتي تطالع المتلقّي " (سقال، 1996، 7) (Saqqal, 7, 1996).

ثانيًا- أثرُ اللسانيات البنيويَّة:

لا أشُكُّ في أنَّ اللسانيات البنيوية قد تركت أثرها في هذا المنهج الصرفيّ الحديث الذي يوظف الحقائقَ الصوتية في دراسةِ البنيةِ ونظاميها، وليس بعيدًا القولُ إنَّ العاملَ الأول الذي سبق حديثنا عنه، وهو إيثارُ البعد النطقي في تحليل اللغةِ، ودراستها على البعد الكتابي كان قد ظهر في الدرسِ اللسانيّ الحديثِ بأثرٍ من اللسانيات البنيوية أيضًا، ولكننا آثرنا الحديث عن أثر اللسانيات البنيوية هنا قاصدين الإشارة إلى الأبعاد المنهجية العامة التي أقرّتها هذه اللسانيات في التفكير اللغوي الحديث، فأنشأت هذا المزج الاجرائي بين المستويين الصوتي، والصرفي حتى يساغ عند الباحثين المعاصرين الحديث عن علم مستقلٍّ هو علم الصرف الصوتيّ.

وأحسبُ أنَّ من هذه الأبعاد المنهجية التي أنشأتها اللسانيات البنيوية، وتركت أثرها في دراسة صرف اللغة دراسة صوتية هو رؤية البنيوية وأنَّ اللسان يتكونُ من وحداتٍ لغويّة مادية مستقلة صوتية، وصرفية، وتركيبية وغير ذلك، وهي تترابط فيما بينها من جهةٍ// تنوين كسر أخرى، وأنَّ هذا اللسان أيضًا بناءٌ ضم هرميٍّ يتدرج من الوحدات الصغرى إلى الوحدات الكبرى، ولا شكَّ في أنَّ قاعدته الدنيا الأساس هي الأصوات، وقمّة رأسهِ الجملة (غلفان، 2013، 113) (Ghalfan, 113,2013).

وترى البنيوية أنَّ لكلّ مستوى من مستويات التحليل اللغوية وحداتهِ الخاصّة به، ولوحدات كلّ مستوى خصائصُ، ومفاهيمُ ولكن تآلف وحدات كلّ مستوى يسمح بالحصول على وحدات المستوى الذي يليه مباشرة " بعبارة أخرى يحدِّد كلُّ مستوى خصائص مستوى الوحدات الذي يعلوه مباشرة، وعليه تعتبر الصُّوتات في المستوى الصرفيّ التي تُعدُّ بدورها أساسية في تحديد وحدات المستوى التركيبي(المركبات/ المـكوِّنات)، وهكذا" (غلفان، 2013، 113) (Ghalfan, 113, 2013).

وهذا يعني أنَّ للأصواتِ في السلسلةِ الكلامية مستوى مستقلًا من مستويات التحليل له خصائصهُ، ومفاهيمه، ولكنَّ تآلف الوحداتِ الصوتية يسهم في تشكيل المستوى الذي يليه وهو المستوى الصرفيّ، من أجل ذلك وجدَ اللسانيون المحدثون الأساسَ العلميَّ الذي يسوِّغُ لهم دراسة الخصائص الصرفية التي تستند إلى خصائص انتظام الأصواتِ في السلسلةِ الكلاميّة.

وليس بعيدًا القولُ إنَّ مما ترَكَ أثرًا واضحًا في نشأة هذا البحث الجديد هو ما رسختهُ النظرةُ السلوكية للغة وهذه النظرةُ من مخرجاتِ البنيوية أيضًا، وهو أنَّ التعامل في دراستنا يكون مادي، وخاضعًا للملاحظة، ولذلك دفعت البنيوية الأمريكية إلى الاهتمام بما هو صوتيّ وصرفيّ على نحو خاص، يقول الدكتور مصطفى غلفان:" هذه الرؤية السلوكية في التّعامل مع ما هو حسيٌّ وماديٌّ تحقيقًا للموضوعية، ودفعت اللسانيات البنيوية الأمريكية إلى الاهتمام بما هو صوتي وصِرافي بالدرجة الأولى، ليس لأنّهما أساسيان في اللسان فقط، وإنما بالنظر إلى قابليتهما الخضوع للملاحظةِ المباشرة خضوعًا تامًّا» (غلفان، 2013، 383) (Ghalfan, 383, 2013).

هذا إذن هو السياق الفكري أو اللساني الذي أسهم في نشأةِ التفكير الحديث في دراسةِ نظام الكلمة، وبنيتها دراسة صوتيةً وهو سياق نشأ في كنف في اللسانيات البنيوية سواءٌ أ كان في بعض إجراءاتها التطبيقية التي كانت تقدم الجانب المنطوق من اللغةِ على الجانب المكتوب ام كان في سلسلة من تنظيراتها التي كانت ترى أنَّ انتظام وحدات المستوى الصوتيّ يسهم في نشأة المستوى الصرفيّ، أو أنَّ دراسة المستويين هذين هما الأساسُ في دراسةِ اللغةِ، وتحليلها لأنّهما يقبلان الخضوع للملاحظة المباشرة.

وقد رأى الباحثون العربُ المعاصرون أنّ الصَّرف العربي فيه حاجة إلى إعادةِ النظر في مسائله انطلاقًا من الحقائق الصوتية، يقول الدكتور كمال بشر: "هناك في الصرف العربيّ بالذات حاجة ملحة إلى الرجوع إلى الحقائق التي يقررها الدرس الصوتيّ" (بشر، 2000، 607) (Bishr, 2000, 607).

المبحث الثالث: أسس التحليل في علم الصرف الصوتيّ:

لابدُّ أنْ يدرك الباحثُ في هذا العلم والقارئ له المباحثَ الصوتية التي يكونُ لها أثرٌ واضحٌ في دراسة نظام الكلمة، ذلك بأنَّ مباحث الصوت كلَّها لا تكونُ مدخلًا في الدراسة الصرفية، بل يسهم منها أبحاثٌ، ونظرياتٌ، وأسس محدّدة اصطلحنا على تسميتها بأسسِ التحليل هنا.

وقد كان بعض الباحثين العربِ المتقدمين الذين ألفوا في هذا اللون من الدراسات الصرفية على وعي واضح بأهمية الإشارة إلى هذه المسألة فصرَّح بعضهم قائلًا:" ولم نذكر من الصوتيات إلا ما اعتبرناه ضروريًا لفهم دراسةِ الأبنية العربية وما استعملناه بالفعل في تحاليلنا بهذه الأبنية اعتقادًا منّا بأنَّه لا سبيل إلى فهم روح الصرف العربيّ فهمًا عصريًا عميقًا بدون هذه المعطيات الأساسيّة من علم الأصوات" (البكوش، 1992، 30) (Al-Bakoush, 30, 1992).

والنظر في مجمل الدراسات الصرفية الحديثة يبين أنَّ ثمة أفكارًا ومباحث صوتية يتداولها الباحثون المعاصرون ويمكن أنَّ تعدُّ أساسًا للتحليل الصرفيّ الحديث المستند إلى مباحث صوتية، وهي:

الاستنادُ إلى نظام الصوائتِ في اللغة:

تصنف الأصواتُ اللغويّةُ صنفين رئيسين هما: الصوامتُ والصوائت، والأساس الذي يستند إليه في هذا التصنيف هو النظرُ إلى حدوث اعتراض للنفس الخارج من الرئتين عندما يتكوّن الصوت اللغويّ، فإذا تكوّن الصوت بخروج النفسِ من غير أنَّ يكون هناك اعتراض له في موضع ما من مواضع آلة النطق كان الصوتُ صائتًا، وقد يكون هذا الصائت طويلًا كـ(الألف، والواو، والياء)، وقد يكونُ قصيرًا كالفتحة والضمة والكسرة، وذلك في العربية الفصحى.

أما إذا وجد النَّفس الخارج من الرئتين عارضًا عند تكون الصوت، فقط ابتعد الصوت من الأصوات الصائتة وصار قريباً من الأصوات الصامتة (أنيس، 1950، 33) (Anis, 30, 1950).

وقد أنشأت هذه الحقيقة العلميَّة القائمة على أساس تصنيف الأصوات اللغوية إلى صامتة وصائتة سلسلةً من المباحث الصوتية التي دخلت أساسًا مهمًا في تحليل الأبنية الصرفية ودراستها، ولعلّ أبرز هذه المباحثِ هي:

1- إعطاءُ الصوائت القصيرة منزلتَها المستقلة في التحليل

ورثت الكتابةُ الساميةُ نظامًا معروفًا في تمثيل الأصوات المنطوقة يقوم على أساس مراعاة الصوامت في هذا التمثيل دون الصوائت القصيرة.(يعقوب، 1982، 111) (Ya'qub, 111,1982).

وقد ترك هذا الأمرُ أثره في التحليل اللغويّ العربي التراثي، وقد سعى علم الصرف الصوتي إلى معالجة هذه القضية، وتجاوز الأثر يقول الدكتور الطيب البكوش:" وإنَّ إهمالَ الحركات في اللغة العربية جعلها ترسُم – إن أُثبتت- فوق الحرف أو تحته عوض أنَّ تكون بعده كما هو الشأنُ بصفةٍ طبيعةٍ في اللغات الهندية - الأوروبيّة... ولهذا أهمية كبرى في تفسير بعض الظواهر اللغوية كالإدغام والإعلال " (البكوش، 1992، 35–36) (Al-Bakoush, 35–36, 1992).

2- التمييز بين الصائتِ الطويل و الصائت القصير:

ينطلق علم الصرف الصوتي من فكرة أنَّ الصوائتَ في العربية – مثلًا- قسمانِ: قصيرة وطويلة، يقول الدكتور عبد الصبور شاهين متحدثًا عن الحركات (ويقصد بها ما نقصده بالصوائت):" ولهذه الحركات الثلاث الأصلية حالتان:

- حالة القصر، وقد وضع لها القدماء ألقابًا هي: الفتحة، و الكسرة، و الضمة.
- حالة الطول، وقد وضعوا لها ألقابًا هي: الألف، والواو، والياء" (شاهين،1980،29) (Shahin, 29,1980).

وقد وظف الدرسُ الصوتيُّ الحديثُ هذه الحقيقة العلميّة في تحليله توظيفًا بيناً، يقول الدكتور الطيب البكوش:" المقابلة بين الحركات القصيرة والطويلة في الكلمات العربية هامة جدًا في إيقاع اللغة العربية وموسيقاها ولا سيما في الشعر وهو ما يسمى الإيقاع الكمي» (البكوش، 1992، 51) (Al-Bakoush, 51,1992).

3- النظُر في طريقة تكوّن الصوائت:

شرعَ الدرسُ الصوتيُّ الحديث في دراسة الصوائت والنظر في طريقة تكوينها على النحو الذي يميزها من الصوائت، ذلك بأنَّ للصوائتِ ما يميزُها على وجهِ الحقيقةِ لا التصوّر المجرّد أو المفترض.

وقد استندت هذه الدراسةُ إلى أساس النظر في ثلاث مسائل هي: (الحمد، 2004، 147) (Al-Hamd, 147,2004)

- موضع اللسانِ الذي يتصعد نحو الحنك الأعلى ليتكوّن الصائت
- ومقدار الانفتاح بين موضع تصعد اللسان، والحنك الأعلى.
- والشكل الذي تتخذه الشفتان عند تكوّن الصائت، ولذا كانت (البكوش، 1992، 50) (Al-Bakoush 50,1992).
- الكسرة أمامية، لأنَّ الموضع المتصعد من اللسان هو مقدمته وضيقة، لأنَّ مقدار الانفتاح ضيقٌ، ومنفرجة، لأنَّ الشفتين منفرجتانِ عند تكون الكسرة.
- والفتحة وسطية، لأنَّ الموضع المتصعد من اللسان هو وسطهُ، وإنَّ لم يكن ذلك وسط اللسان تحديدًا (البكوش، 1992، 50–51) (Al-Bakoush, 50–51,1992).
- وواسعة، لأنَّ مقدار الانفتاح واسعٌ، ومنفتحة، لأنَّ الشفتين منفتحتان عند نطقهما.
- والضمة، خلفية، لأنَّ الجزء المتصعد من اللسان هو أقصاه، وضيقة، لأنَّ مقدار الانفتاح ضيق، ومستديرة، لأنَّ الشفتين مستديرتان.

ولم يقف الدارسون المحدثون عند هذا التصنيف الصوتي المجرد للصوائت بل رأوه، مهما في استحضار فمنهم تغيير الحركات في الأفعال العربية (البكوش، 1992، 51) (Al-Bakoush, 51,1992).

4- التمييز في استعمال الواو والياء:

تستعمل الكتابة العربية هذين الرمزين (و، ي)، لتمثيل قيم صوتية مختلفةٍ، إذ يستعملان للتعبير عن الصوتين حين يكونان صائتين، ويستعملان – أيضًا- للتعبير عن الصوتين حين يكونُ أحدهما نصف صائتٍ أو نصف صامت (البكوش، 1992، 41–42) (Al-Bakoush, 41–42,1992) يقول الدكتور حسام النعيمي:" ذلك أنَّ من مسلمات الدرس الصرفيّ القديم ما عاد إنكارُهُ من مسلمات الدرس الصوتيّ الحديث... ومثل هذا يقول عن أثر وحدة الرسم للصائتِ، ونصف الصائت كوحدة الرسم الواو في (نَقُوْل)، والواو في كوْن، ممَّا أدى إلى اختلاف التوجيه في ظواهر لغُويَّةٍ درسها علماء التصريف العربيّ».(النعيمي، 1998، 5) (Al-Nuaimi, 5,1998)

5- إنكارُ وجود حركة قبل حرف المدِّ:

يُعدُّ القولُ بانتفاء وجود حركةٍ قبل حرف المدِّ من المسلمات التي أطبق الدرسُ الصوتيّ أو الصرفيّ الحديث على القول بها ولا يتأخر المحدثون في اقرار/ إقرار هذه الفكرة التي صارت اليوم حقيقة علميّة ثابتة (النعيمي، 1998، 5) (Al-Nuaimi, 5,1998). يقول الدكتور عبد الصبور شاهين:" ولا يدرون أنَّ توهم وجود فتحة قبل الألف، أو ضمة قبل الواو، أو كسرة قبل الياء ليس إلا من خداع الكتابة، وأنَّ القدماءَ، وقعوا في هذا الوهم وانخدعوا به" (شاهين، 1980، 18) (Shahin, 18,1980).

6- القولُ بوجود حركة انزلاقية:

ذهب الصرفيون العرب المحدثون ممن عُنوا بهذه الدراسة الصوتية الصرفية إلى القولِ بوجود حركةٍ انزلاقيةٍ أو مزدوجة في العربية، وقد كان ذلك في صوتين هما: ـــَوْ(aw) وـــَيْ(ay)، يقول الدكتور عبد الصبور شاهين: " الواو والياء أو حرفا العلةِ، كما يقال، وهما من الناحية الصوتية نتيجة تتابع الحركات المختلفة الطويلة أو القصيرة،فإذا تتابعت حركتا الفتحة والكسرة هكذا

a+i نتج صوت الياء

Y

وإذا تتابعت حركتا الفتحة والضمة هكذا

a+u.1 نتج صوت الواو.

w.2

أي أنَّ الانزلاق بين الحركتين المختلفتين هو في الحقيقة ما يسمى بالياء أو الواو" (سقال، 1996، 22).

ملاحظة أثر أصوات الحلقِ في تكوين بنية الكلمة لاحظ علماءُ العربية قديمًا وحديثًا أنَّ لأصواتِ الحلقِ أثرًا في تكوين بنية الكلمة العربية، وقد دخلت هذه الملاحظة عنصًرا مؤسسًا في توجيه بنى طائفة من هذه الكلمات العربيّة وفي تشكيل صيغتها، وقد كان القدماءُ على وعي واضح بأثر هذه الأصوات في بناء الكلمةِ وتشكيلها، وأما المحدثون فعبر عن فكرتهم الدكتور الطيب البكّوش، إذ يقول:" نلاحظ أهمية حروف الحلق وما يليه من اللهاةِ، فهي تمثل ربع الحروف العربية (7 على 28 حرفًا)، وهي من أهم مميزات العربية بالنسبة للغات الأوروبية كالفرنسية مثلاً» (البكوش، 1992، 46) (Al-Bakoush, 46,1992)

أهمية دراسة المقطع في تفسير نظام الكلمة العربيّة:

تتابع المحدثون على إقرار فكرة أنَّ لدراسة المقطع، وتوظيف خصائصه أثرًا واضحًا في تبين نظام بناء الكلمة العربية، وتفسير التغييرات التي تصب هذا البناء.

وقد تباينت نصوصُ هؤلاء المحدثين في تعريف المقطع، ولعلَّ تعريف أستاذنا الدكتور غانم قدوري الحمد كان أكثرها دقةً واستدراكًا على ما سبقه، إذ يـقول:» المقطع مـجموعة أصوات تنتج بضغطة صدرية واحدة، تبدأ بصوت جامد يتبعه صـوت ذائب(قصير أو طويل)، وقد يأتي متبوعًا بصوت جامد أو اثنين، ويكون الصوت الذائب فيه قمة الإسماع بالنسبة إلى الأصوات الأخرى التي يتألف منها المقطع» (الحمد، 2004، 202) (Al-Hamd, 202,2004).

وليس هدف الدراسة الوقوف عند أنواع المقطع، وبيان الرموز المستعملة للتعبير عنه، والحديث عن قواعده، فإنَّ لذلك موضعه في دراسات المحدثين، ولكن هدفنا هنا هو إثباتُ الاستناد إلى (المقطع)، وخصائصه في تفسير عددٍ من الظواهر اللغويّة، يقول الدكتور عبد الصبور شاهين:" وكلُّ تغيير يحدث في الكلمة العربية سوف يكون نتيجة تصادم وضعها الأصلي مع طبيعة النظام المقطعي في اللغة، فيلزم تعديلها خضوعًا لضرورة النظام" (شاهين، 1980، 40) (Shahin, 40,1980).

المبحث الرابع: علم الصرف الصوتيّ والتراث الصرفيّ العربيّ:

عُنيتْ طائفة من الباحثين في علم الصرف الصوتيّ بنقد التراث الصرفيّ العربيّ، وتقديم سلسلةٍ من المؤاخذات المنهجية على هذا التراث، وقد كان و أبرز مقولةٍ ردَّدها هؤلاءِ الباحثونَ هي القولُ إنَّ الصرف العربيّ استند إلى الجانب المكتوب للغة وفي ذلك مفارقةٌ لروحِ البحث العلميّ الذي يفرض أنَ يُعنى اللغويّ بالجانب المنطوق من اللغة قبل المكتوب.

وقد صار ترددُ هذه المقولةِ تقليدًا متبعًا عند قسم من اللغويين العرب المحدثين، يقول الدكتور عبد الصبور شاهين:" وقد كان أحدُ مصادر الخلل في النظام الصرفيّ الذي وضعه السلف هو الربط بينه وبين الكتابة، فتداخل بذلك ما هو من اهتمامات علم الرسم (الإملاء) فيما هو من ظواهر النطق، وخصائص التصريف، وكان السبب في هذا الخلط الاعتقاد بأن اللغة هي ما تحتويه رموز الكتابة من حروف، و كلمات وتراكيب، ربما لأنَّهم كانوا يهتمون أساسًا بما تلقُّوا من نصوص الماضي لا بما كانوا ينطقون فعلاً» (شاهين، 1980، 10) (Shahin, 10,1980).

وذهب الدكتور الطيب البكوش إلى أنَّ اللغويين العرب قد توصَّلوا إلى إيجاد نظرية صرفية لا تخلو من إحكام الميم بدل، ولكنه ذهب إلى أنَّ هذه النظرية تعاني من عيوبٍ جوهرية، ومن أهمها - ممّا ذكره- هو تعليل التغيرات الصوتية انطلاقا من الرسم الإملائي وليس من ملاحظة الأصوات المسموعة (البكوش، 1992، 21–22) (Al-Bakoush, 21–22,1992)، وقال:" فالاعتمادُ على الرسمِ دون النطق يقودُ حتمًا إلى التعسّف والخطأ في الحكم إلى جانب ما فيه من تناقض ضمني؛ لأنَّ الرموز الخطيّة لا يمكن أنَّ تستوعب كل ما يوجد من غنى وتنوع صوتيّ في اللغات البشرية" (البكوش، 1992، 22) (Al-Bakoush, 22,1992).

وممَّا لا شكَّ فيه أنَّ أصولَ هذه الفكرةِ النقدية التي ترى أنَّ الدراسة الحقيقية للغة يجب أنَّ تراعي الجانب المنطوق لا المكتوب من اللغة كانت ناشئة في التفكير اللساني البنيوي الحديث.

وقد مرّ بنا قول انطوان ما بيه:» ومعظم الاختلافات في النطق التي تميز بها الجهات المختلفة، والطبقات الاجتماعية المتباينة لا تظهر في الكتابة... وفي اللغةِ المكتوبةِ تميل الاختلافاتِ إلى الاختفاءِ مع انَّ تلك اللغة هي التي تحمل الصيغة العامّة على أتمِّ وجهٍ.

إنَّ اللغة المكتوبة الثابتة بطبيعتها تؤدي إلى تثبيت اللغةِ العامّةِ، وتعمل فيها كعنصر محافظة» (مندور، 1996، 446) (Mandour, 446,1996).

وتتحدث اللسانية البريطانية جين إتشسن عن أوجه الاختلاف بين (اللسانيات) و (القواعد التقليدية)، فتقول:" وأما الوجه الثاني من أوجه الاختلاف بين (اللسانيات) و(القواعد المدرسية التقليدية)، فهو أنَّ علماءَ اللسانيات يُعْنون - في المقام الأول- باللغة المنطوقة لا المكتوبة... وعلى الرغم من أنَّ الكلام المنطوق والجمل المكتوبة يتقاسمان كثيرًا من الخصائص فإنَّ بينهما – كذلك- اختلافات مهمة، وقد دفعت هذه

الاختلافات علماءَ اللسانيات إلى النظر إلى الشكلين: المنطوق، والمكتوب للغة، على أنَّهما ينتميان إلى نظامين مختلفين، وأنَّ كانا متداخلين، وعلى ذلك يجب أنَّ يُحَللا تحليلاً منفصلًا، فنبدأ بالمنطوقِ ونُثنِّي بالمكتوب" (غلفان، 2013، 23–37) (Ghalfan, 2013, 23–37).

إنَّ استحضارَ هذه المقولة اللسانية الغربيَّة في نقد التراث الصرفيّ العربيّ لابدُّ أنَّ يكون بحسب رؤية علميّة دقيقة تتحقق من تشابه السياق اللغويّ بين التراثين اللغويين العربيّ والغربيّ الذي يسوّغ تطبيق هذه المقولة في هذين الدرسين كليهما فهل كان السياق العلميُّ الذي نشأت في كنفهِ هذه المقولة اللسانيّة التي ترى ضرورة العناية بالجانبِ المنطوق من اللغة قبل المكتوب، وأنَّ هذه المقولة تستلزم نقد التراث الصرفيّ المبني على مراعاة المكتوب فتصلح لتطبيقها عليه بعد أنْ زعمت أنَّ التراث الصرفيّ الغربي مبنيٌّ هو أيضًا على مراعاةِ المكتوب لا المنطوق؟

إنَّ الإجابة عن مثل هذا السؤال بالإيجاب لابدَّ أنْ يكون قائمًا على استقراء دقيق، وقراءةٍ موضوعية للتراثِ الصرفيّ العربيِّ تعقبها محاولة إثبات تشابه السياقين العلميين الغربي، والعربي في أنَّهما بُنيا على مراعاةِ المكتوب لا المنطوق حتى يصحَّ العمل على تطبيق هذه المقولة اللسانية عليهما معاً، أما إسقاطُ السياقِ اللغويّ الغربيّ على التراث العربي، ونقد مناهج الصرفيين العرب على النحو الذي نقد به الغربيون تراثهم الصرفيّ قبل القيام بمثل هذه الدراسة التاريخية المقارنة، فإنَّ ذلك ممّا تجب إعادة النظر فيه.

وكل محاولةٍ لتطبيق المفاهيم اللسانية في قراءة التراث ونقده وتقوّيمه لابد أنْ تنطلق من فكرةِ أنَّ " إعمال المفاهيم اللسانية في التراث أصعب من تحصيل هذه المفاهيم في حدِّ ذاتها وإدراكها في مصادرها أو نشرها بلسان غير اللسان الذي اكتشفت فيه، أو قل إنَّ إعمالها في سِياق حضاريّ غير السياق الذي نشأت فيه يمثل مستوى من الفهم والامتلاك أرقى من الفهم الأول « (عز الدين، 1998، 42) (Izz al-Din, 42,1998).

والنظر في المدونةِ اللسانيّة العربيَة الحديثة يكشف أنَّ طائفةً من اللسانين العرب المحدثين كرروا مقولات الغربيين في تقديراتهم حين شرعَ هؤلاءِ الباحثون العرب بتمثُّل حدِّ اللسانيات فراحوا ينتقدون تراثهم العربيّ على الذي صنعه الغربيون مع تراثهم (عز الدين، 1998، 45) (Izz al-Din, 45,1998).

والذي نحسبُهُ أنَّ القول باعتماد التُّراث الصرفي العربي على الجانبِ المكتوب من اللغة، وغياب توظيف الحقائق الصوتية في الدراسة الصرفية كان واحدًا من الأمثلة التي تصلح شاهدًا على أنَّ اللغويين العرب المحدثين قد كرّروا مقالة الغربيين في نقد تراثهم، وأنَّهم قرؤوا تراثنا الصرفيّ العربيّ بحسب مقولةٍ لسانية حديثة قبل إجراء استقراء دقيق لجهود الصرفيين العرب، وقبل الوعي الكامل بالفروق المنهجيةِ، والسياقات اللغويةِ العلميَّةِ التي تميّز أحد هذين التراثين من الآخر.

ونكادُ نجزمُ أنَّ السياق العلميّ الذي أنشأ هذه المقولةَ اللسانيةَ الغربية الناقدة للتراث اللغويّ الغربيّ مختلفة عن السياق اللغويّ العربيّ، وأنَّ النظر إلى أنَّ تراثنا الصرفيّ قائمٌ على مراعاةِ المكتوب، ولا يوظف الحقائق الصوتية قد أمسى فكرة تلزم ما ينتقدها، وليس أدلُّ على ذلك من أنَّ الرؤيةَ النقدية لهذه المقولة قد نشأت مبكرًا، وأنَّ من اللسانيين العرب منْ كان على وعي بأنَّ التراث الصرفيّ العربيّ لم يُعانِ ما عاناه الغربي يقول الدكتور صالح القرمادي- متحدثًا عن حاجةِ دراسة الدكتور الطيب البكوش: التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث-:" حاجتُها كذلك إلى مزيد من التحري قبل الجزم بإفراط النحاةِ العرب القدامى في التأثر بالرسم دون اللفظ مما أداهم إلى الخلط والاضطراب في تقديم المسائل الصوتية، وقبل القول كذلك بقلة حظهم في تقديم وصف صوتي للحركات، فقوله ابن يعيش المشهورة في باب مخارج الحروف: والحرف إنَّمــا هو صوت مقروع في مخرج معلوم، وذكره أحيانًا لما يظهر في اللفظ، ولا يبين في الخط وكذلك ملاحظة لكون (مكان الحركة من الحرف بعده)، وكذلك كلام النحاة المستفيض عن حروف المدِّ واللين، وعن الحركات طويلها وقصيرها في باب الإمالة، والتفخيم والرَّوم والإشمام دليل على أنَّ هذه المسالة تستحق مزيدًا من البحث والتنقيب والإحصاء والترقيم". (البكوش، 1992، 14) (Al-Bakoush, 14,1992).

وإذا كان نقدُ الدكتور صالح القرمادي لمقولةِ اللسانيين دقيقًا واستحضارُهُ لبعض الأمثلةِ العربية على عنايةِ الصرفيين العرب بتوظيف النظريات الصوتية في الدراسة الصرفية صحيحًا، وقد كان ذلك قبل ما يقارب خمسين عامًا، فإنَّ مثل هذا اللون من التفكير يزداد اليوم توكيدًا وثباتًا بعد ظهور عشرات المصنفات اللغوية التراثية، وبعد اتساع دفعةِ القراءة العلمية الدقيقة للتراث الصرفيّ العربيّ التي شرعت باستخراج النصوص التي ثبتت استناد علماء العربية للجانب الصوتيّ في دراستهم الصرفية، وقد أمست اليومَ مثل هذه القراءات التتبعيّة أوسع وأكثر من أنَّ يستدل لها، ولكني أُشيرُ إشارةً موجزةً إلى قولٍ لابن يعيش (ت: 643 هـــ) في كتابٍ آخر له غير الذي عاد إليه الدكتور صالح القرمادي في نصٍّ طويل له أنقلُه كلَّه لأهميته العلمية، يقول ابن يعيش:" ولا يجيءُ(فَعَل) على(يَفْعَلُ) إلا أنَّ تكون العين أو اللام أحد حروف الحلق، وحروف الحلق ستة: الهمزة، والهاء، والعين، والحاء، والغين، والخاء، وذلك نحو قَرَأَ يَقْرَأُ، وَوَجَبَهُ يَجبهُ، وقَلَعَ يَقْلَعُ، وذَبَحَ يَذْبَحُ وقالوا فيما كانت فيه هذه الحروف عينا: سَأَلَ يَسْأَلُ، وذَهَب يَذْهَبُ، وبَعَثَ يَبْعَثُ، ونَحَرَ يَنْحَرُ، وَنَفَرَ يَنْفَرُ، وَفَخَر يَفْخَرُ، و إنَّما فعلوا ذلك لأنّ هذه الحروف الستة حلقية مستثقلة، والضمة، والكسرة مرتفعات في الطرف الآخر من الفم، فلمّا كان بينهما تباعد في المخرج ضارعوا بالفتحة حروف الحلق؛ لأنَّ الفتحة من الألف، والألف أقرب إلى حروف الحلق لتناسب الأصوات ويكون العمل من وجه واحد" (ابن يعيش، 1937، 39–40) (Ibn Ya'ish, 40–39,1992).

خاتمة البحث ونتائجُهُ

انتهت هذه الدّراسةُ إلى أنَّ الأفكارَ الرئيسةَ التي تضمّنتها يُمكن تلخيصها في ما يأتي:

1- تبيّنَ أنَّ الدّرسَ اللسانيَّ الحديثَ قد شرعَ منذ منتصفِ القرنِ العشرينَ في ما يمكن تسميتُهُ بإلغاءِ المفاصلةِ بينَ المستويينِ الصوتيّ والصّرفيّ، بعد أنْ أدرك الدّارسون اللغويّون المحدثون أنَّ فكرةَ تصنيفِ التّحليل اللغويّ بحسب مستوياتٍ ينبغي ألّا تكون سبباً في إدراكِ حقيقةِ أنَّ التّغيراتِ التي تحدث للكلمةِ تعودُ في كثيرٍ منها إلى اعتباراتٍ صوتيّةٍ، وأنَّ هذه الحقيقةَ لا بدَّ أنْ تجدَ طريقها إلى الدّرسِ الصرفيِّ الحديثِ، وقد كان ذلك متمثّلاً بظهور علم الصّرفِ الصّوتيّ.

2- وفضلاً عن إلغاء فكرةِ المفاصلةِ بين المستويينِ الصوتيّ والصّرفيّ التي أخرجت لنا علمَ الصّرفِ الصّوتيّ، فإنَّ السّياقَ العلميَّ الذي ظهرَ فيه هذا العلمُ يكشفُ عن عاملينِ رئيسينِ قد كان لهما الأثرُ الواضحُ في تسويغ البحثِ فيما سُمّي بـ: علم الصرف الصوتي، وهذا العاملانِ هما:

- رؤية الدّارسين اللغويين المحدثينَ أنَّ التّحليل العلميَّ الدقيق للظاهرة اللغوية هو الذي يكون منطلقاً من ملاحظة اللغة المنطوقة لا المكتوبة.
- رؤية البنيوية أنَّ لكلِّ مستوىً من مستوياتِ التّحليل اللغوية وحداتِهِ الخاصَّةَ، وأنَّ تآلفَ وحداتِ كلِّ مستوىً يسمح بالحصولِ على وحداتِ المستوى الذي يليه مباشرةً، وهذا يعني أنَّ للأصواتِ مستوىً مستقلاً من مستويات التحليل له خصائصُهُ ومفاهيمُهُ، وأنَّ تآلفَ الوحداتِ الصوتية يسهم في تشكيل المستوى الذي يليه وهو المستوى الصّرفيّ، فمن أجل ذلك ظهر ما يسوّغُ البحثَ في علمٍ مستقلٍّ هو علم الصرف الصوتي يراعي هذه الحقيقة العلمية.

3- ويستندُ هذا العلمُ – في صورتِهِ العربيّةِ - إلى سلسلةٍ من أسسِ التّحليلِ، لعلَّ من أبرزها:

- الاستنادُ إلى نظامِ الصّوائتِ في اللغةِ، بدءاً من إعطاءِ الصوائتِ القصيرةِ منزلتَها المستقلة في التحليل، والتمييز بين الصوائت الطويلة والصوائت القصيرة، والنظر في تكون الصوائت، وانتهاءً بإنكار وجود حركةٍ قبل حرف المدِّ، والقول بوجود حركةٍ انزلاقية.
- وممّا يستند إليه هذا العلم هو توظيفه للتحليل المقطعي للكلمةِ العربية، فقد تتابع المحدثون على إقرار فكرة أنَّ لدراسة المقطع وتوظيف خصائصِهِ أثراً واضحاً في تبين نظام الكلمة وتفسير التغيرات التي تصيب هذا النظام.

4- ونحسب أنَّ نقد مسارات التحليل الصرفي في التراثِ العربي انطلاقاً من المنهج الصرفي الحديث الذي يقوم على أساس توظيف النظريات الصوتية في تحليل الكلمة لا بدَّ أن يُعاد النظر في مثل هذا النقد، ذلك أنَّ القراءة الدقيقةَ للتراثِ الصرفيّ العربيِّ التقليديِّ تكشفُ عن توظيفٍ واضحٍ للمقولات الصوتية على النحو الذي يتناسبُ مع المنهج اللغوي لعلماءِ العربيةِ، من أجل ذلك سجّلنا الدّعوةَ إلى التفرقة بين السياق اللغوي الغربي والسياق اللغوي العربي، وإلى الخطأِ المنهجيِّ الذي سار عليه جمهرة من الدّارسين المحدثينَ الذين قرؤوا التراثَ اللغويّ العربيّ بمنظارِ التراث اللغوي الغربي، وأنَّ الفكرة العلمية الصحيحة كانت تفرضُ عليهم أن يقيموا مفارقة بين السياقين اللغويين، وأنْ يُقرأَ كلُّ نسقٍ بما يوائمُهُ.

مساهمة المؤلفين:

أسهم المؤلفان في إعداد هذا البحث بشكل مشترك؛ حيث شاركا في وضع فكرة الدراسة وتصميمها، وإعداد الإطار النظري، وجمع البيانات وتحليلها، وتفسير النتائج، وكتابة البحث ومراجعته وتنقيحه بصيغته النهائية، وقد اطّلع كلاهما على النسخة النهائية ووافقا على نشرها.

تضارب المصالح:

يصرّح المؤلفان بعدم وجود أي تضارب مصالح مادي أو معنوي أو مهني قد يؤثر في سير البحث أو نتائجه أو تفسيرها.

توافر البيانات

لا يحتوي البحث على بيانات.

بيان التمويل

يصرح المؤلفون بأنهم لم يتلقوا أي أموال أو منح أو دعم آخر أثناء إعداد هذا البحث.

بيان استخدام الذكاء الاصطناعي

"أثناء إعداد هذا العمل، لم يستعمل المؤلفان أداة ذكاء صناعي، ويتحملان المسؤولية الكاملة عن محتوى المقال المنشور."

ثبت المصادر والمراجع

إبراهيم انيس، (1950م)، الأصوات اللغوية،(ط 2)، مكتبة النهضة، مصر.

ابـن يعيـش، علي بـن يعيـش ابـن أبي السرايـا محمـد بـن علي، أبـو البقـاء، موفـق الديـن الأسـدي المـوصلي، (1393هـ 1937-م)، شرح الملـوكي في التصريـف، قبـاوة، (ط1)، تحقيـق الدكتـور فخـر الديـن، المكتبـة العربيـة، حلـب.

أحمد الحملاوي، (2000 م)، شذا العرف في فن الصرف، ط2، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل

أحمد محمد قدور،(1429 هـ - 2008م)، مبادئ اللسانيات، (ط 3)، دار الفكر، دمشق.

اميل بديع يعقوب، (1982م)، فقه اللغة العربية وخصائصها،(ط1)، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان.

البكوش، الطيب،(1992م)، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث(ط 3)، تقديم صالح القرمادي، تونس.

تمام حسان، (1955م)،مناهج البحث في اللغة، الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية.

جوزيف فندريس،(1950 م)، اللغة، تعريب: عبد الحميد الدواخلي، محمد القصاص الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية.

الحمد، غانم قدوري،(1425هـ - 2004م)، المدخل إلى علم أصوات العربية،(ط1)، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان- الأردن.

ديزيره سقال،(1996م)، الصرف وعلم الأصوات،(ط1)، دار الصداقة العربية، بيروت.

رضي الديـن، الاستراباذيّ، محمـد بـن الحسـن (ت: 686 هــ)،(1395هــ- 1975م)، شرح شـافية ابـن الحاجـب مـع شرح شـواهده، مـع شرح شـواهده للعـالم الجليل عبـد القـادر البغـدادي صاحـب خزانـة الأدب (ت 1093 هـ)، تحقيـق وضبـط غريبهـا وشرح منهجهـا: الأسـاتذة: محمـد نـور الحسـن، ومحمـد الزفـزاف، محمـد محيـي الديـن عبـد الحميـد، دار الكتـب العلميـة، منشـورات محمـد علي بيضـون، بيروت.

عبد الصبور شاهين،(1400هـ- 1980م)، المنهج الصوتي للبنية العربية رؤية جديدة في الصرف العربي،(ط1)، مؤسسة الرسالة، بيروت.

عبد القادر عبد الجليل، (2019م)، علم الصرف الصوتي، (ط1)، دار أزمنة للنشر و التوزيع، عمان- الأردن.

عز الدين مجدوب،(1998م)، كتاب المنوال النحوي العربي قراءة لسانية جديدة،(ط1)، دار محمد علي الحامي، تونس.

كمال بشر،(2000م)، علم الأصوات، دار الغريب، مصر.

مبارك حنون،(2013م)، في الصواتة البصرية من لسانيات المنطوق إلى لسانيات المكتوب،(ط1)، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان- بيروت.

مبارك مبارك،(1995م)، معجم المصطلحات الألسنية فرنسي إنجليزي عربي،(ط1)، دار الفكر اللبناني، بيروت – لبنان.

محمد مندور،(1996م)، النقد المنهجي عند العرب منهج البحث في الادب واللغة،(ط1)، دار النهضة، القاهرة- مصر.

مصطفى غلفان، (2013م)، كتاب اللسانيات البنيوية: منهجيات و اتجاهات، (ط1)، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت- لبنان.

نايف خرما،(1978م)، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، عالم المعرفة، العدد (9) الكويت

النعيمي، حسام سعيد،(1998م)، أبحاث في أصوات العربية،(ط1)، بغداد.

List the sources and references

Ibrahim Anis, (1950), Linguistic Sounds, (2nd ed.), Al-Nahda Library, Egypt.

Ibn Ya'ish, Ali ibn Ya'ish ibn Abi al-Saraya Muhammad ibn Ali, Abu al-Baqa', Muwaffaq al-Din al-Asadi al-Mawsili, (1393 AH - 1937 CE), Al-Maluki's Commentary on Morphology, Qabawa, (1st ed.), edited by Dr. Fakhr al-Din, Al-Maktaba al-Arabiyya, Aleppo.

Ahmad al-Hamlawi, (2000 CE), The Fragrance of Knowledge in the Art of Morphology, 2nd ed., Dar al-Kutub for Printing and Publishing, Mosul.

Ahmad Muhammad Qadawi, (1429 AH - 2008 CE), Principles of Linguistics, (3rd ed.), Dar al-Fikr, Damascus.

Emile Badi' Ya'qub, (1982 CE), The Jurisprudence of the Arabic Language and its Characteristics, (1st ed.), Dar al-'Ilm lil-Malayin, Beirut, Lebanon.

Al-Bakoush, Al-Tayeb, (1992), Arabic Morphology Through Modern Phonetics (3rd ed.), introduction by Saleh Al-Qarmadi, Tunisia.

Tamam Hassan, (1955), Research Methods in Language, Anglo-Egyptian Library.

Joseph Vendryes, (1950), Language, translated by Abdul Hamid Al-Dawakhli and Muhammad Al-Qassas, Anglo-Egyptian Library.

Al-Hamd, Ghanem Qaddouri, (1425 AH - 2004 CE), Introduction to Arabic Phonetics (1st ed.), Ammar Publishing and Distribution House, Amman, Jordan.

Desiree Saqqal, (1996), Morphology and Phonetics (1st ed.), Arab Friendship House, Beirut.

Radi al-Din al-Astarabadi, Muhammad ibn al-Hasan (d. 686 AH), (1395 AH - 1975 CE), Commentary on Ibn al-Hajib's Shafiya with an Explanation of its Evidences, with an Explanation of its Evidences by the eminent scholar Abd al-Qadir al-Baghdadi, author of Khizanat al-Adab (d. 1093 AH), edited and annotated by Professors Muhammad Nur al-Hasan, Muhammad al-Zafzaf, and Muhammad Muhyi al-Din Abd al-Hamid, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Muhammad Ali Baydoun Publications, Beirut.

Abd al-Sabur Shahin, (1400 AH - 1980 CE), The Phonetic Approach to Arabic Structure: A New Vision in Arabic Morphology, (1st ed.), Al-Risalah Foundation, Beirut.

Abd al-Qadir Abd al-Jalil, (2019 CE), The Science of Phonetic Morphology, (1st ed.), Azmina Publishing and Distribution House, Amman, Jordan.

Izz al-Din Majdoub, (1998), The Arabic Grammatical Pattern: A New Linguistic Reading, (1st ed.), Dar Muhammad Ali al-Hami, Tunisia.

Kamal Bishr, (2000), Phonetics, Dar al-Gharib, Egypt.

Mubarak Hannoun, (2013), On Visual Phonetics: From Spoken Linguistics to Written Linguistics, (1st ed.), Dar al-Kitab al-Jadeed al-Muttahida, Beirut, Lebanon.

Mubarak Mubarak, (1995), Dictionary of Linguistic Terms: French-English-Arabic, (1st ed.), Dar al-Fikr al-Lubnani, Beirut, Lebanon.

Muhammad Mandour, (1996), Methodological Criticism among the Arabs: A Methodology of Research in Literature and Language, (1st ed.), Dar al-Nahda, Cairo, Egypt.

Mustafa Ghalfan, (2013), Structural Linguistics: Methodologies and Trends, (1st ed.), Dar al-Kitab al-Jadeed al-Muttahida, Beirut, Lebanon.

Nayef Khurma, (1978), Lights on Contemporary Linguistic Studies, Alam Al-Ma'rifah, Issue (9), Kuwait.

Al-Nuaimi, Hussam Saeed, (1998), Research in Arabic Phonetics, (1st ed.), Baghdad.